ويختلف صنيع الراغب عن صنيع الفيروزآبادي، بغلبة الطابع اللغوي على تفسير الراغب بينما يغلب على مادة الفيروزآبادي طابع التفسير الشامل للّفظ إحاطة بكل أبعاده الدلالية واستعمالاته، وإيحاءاته، يقول في لفظ الخوف مثلاً:

«هو توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، كما أن الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة، ويضّاد الخوف الأمن ويستعمل ذلك في الأمور الأخروية، والدنيوية، وقوله تعالى: ﴿وإن خفتم شقاق بينهما﴾[1] قد فسر بعرفتم وحقيقته وإن وقع لكم خوف من ذلك لمعرفتكم. والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف بل إنما يراد به الكف عن المعاصي وتحري الطاعات، ولذلك قيل: لايعد خائفًا من لم يكن للذنوب تاركًا. والخوف أجل منازل السالكين وأنفعها للقلب وهو فرضٌ على كل أحد...»[2] والمادة طويلة وغنية وتتضمن بعض الملاحظات عن التراكيب التي يستعمل فيها اللفظ في القرآن.

فرؤية الفيروزآبادي لمعنى اللفظ أوسع وأعمق من رؤية كتب الوجوه المختصة بالوجوه فقط، ومنهجه في بحث المعنى مختلف عنها كذلك.

وذكرت هند شلبي من كتب الوجوه والنظائر في القرآن، التي وصلت إلينا وطبعت، كتاب «كشف السرائر عن معنى الوجوه والنظائر»[3] لشمس الدين بن العماد (ت٨٨٧هـ)[4]، ويحتوي على مائة وخمس كلمات، ويخالف في منهجه منهج المتقدمين[5].

فمناهج التأليف في الوجوه والنظائر إذن، لم تتطور كثيراً بعد المؤلف الأول فيها، وقد اعترى الألفاظ ووجوهها زيادة أحيانًا ونقصان أحيانًا، ورتب بعضها هجائيا بمخالفة الترتيب الأول لها على سور القرآن الكريم، إلاّ أن الأمر لم يتغير كثيراً اللهم إلاّ في كتابي ابن الجوزي والحكيم الترمذي على ما رأينا.

---

(١) النساء: ٣٥.

(٢) بصائر ذوي التمييز، ج٢، ص٥٧٨.

(٣) حققه د. فؤاد عبد المنعم أحمد، وطبع بالإسكندرية ١٩٧٧م، ولم أستطع العثور عليه.

(٤) انظر ترجمته: هو محمّد بن محمّد بن علي البلبيسي المعروف بشمس الدين بن العماد، فاضل من الشافعية ولد وتعلم بمصر وتوفي سنة ٨٨٧هـ.

(٥) انظر: مقدمة هند شلبي لكتاب يحيى ابن سلاّم، التصاريف ص٣٦ و٣٧.